الدرس (2): المبادئ الفكريّة للثورة الإسلامية

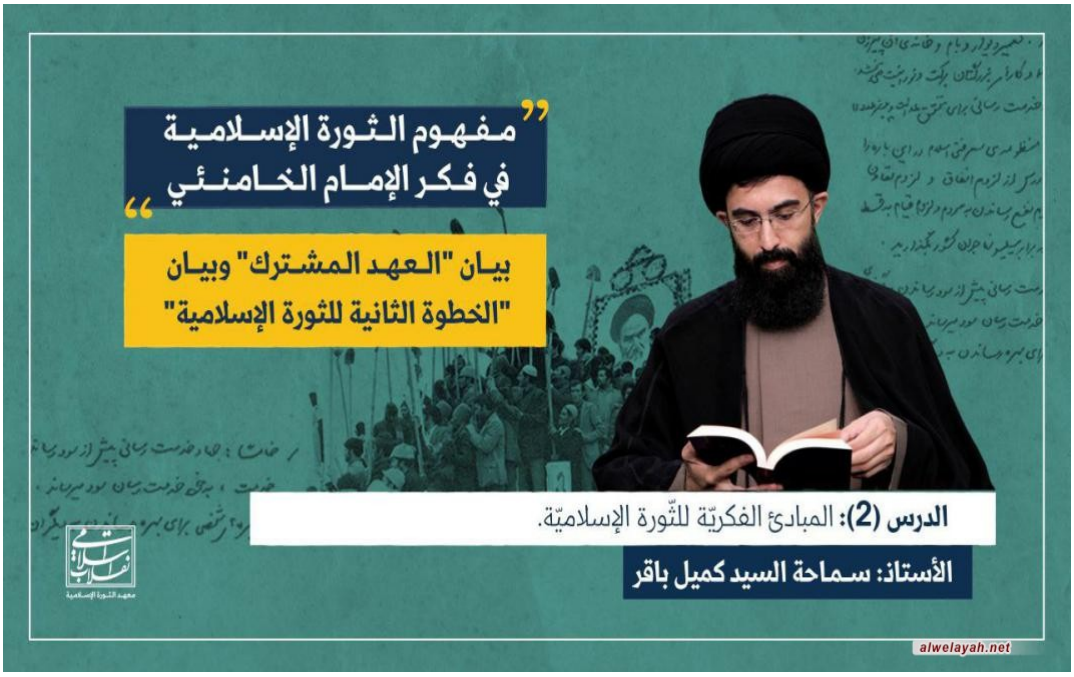

مفهوم الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي

(دورة التعرّف على المنظومة الفكرية لسماحة الإمام الخامنئي)

الدرس (2): المبادئ الفكريّة للثورة الإسلامية

الأستاذ: سماحة السيد كميل باقر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الإخوة الأعزاء، الأخوات الكريمات، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله.

نستمرّ وإياكم في سلسلة حلقات نناقش فيها مفهوم الثورة الإسلامية في فكر الإمام السيّد علي الخامنئي قائد الثورة الإسلامية. في الجلسة الأولى تحدّثنا قليلاً حول مكانة هذا المفهوم المهمّ في المنظومة الفكرية للإمام الخامنئي، وفي هذه الجلسة سنتحدّث إن شاء الله حول «المبادئ الفكرية والأسس العقائدية للثورة الإسلامية » بناءً على آراء وأفكار سماحة القائد.

العلاقة بين الإسلام وهذه الثورة علاقة وثيقة ومستحكمة. الإسلام هو المنشأ الرئيسي لهذه الثورة، وهو الدافع الأساسي لدى الشعب للقيام والنهوض، وهو الجوهر الأصيل والعنصر المحوري في كل الأحداث في هذه الثورة، والاعتقاد الجازم بالإسلام هو الذي يدعو هذا الشعب إلى عدم الرضا بالعيش تحت حكم الطواغيت، وإيمانه الراسخ بالمبادئ الإسلامية هو الذي يطالبه بالحركة نحو التغيير والتحوّل والسعي لإسقاط الأنظمة غير الإلهية في حياة الإنسان وبناء نظام جديد للحكم؛ نظام إلهي، وإيجاد مجتمع إسلامي للحياة الطيّبة والعيش الكريم.

إذاً، قصة هذه الثورة ورحلتنا معها تبدأ مع «الإسلام ». لكن أيّ إسلامٍ؟! ما نفهمه من كلمات الإمام الخميني والإمام الخامنئي أنّنا اليوم أمام نوعين من الإسلامية؛ إسلامٌ محمّديٌ أصيل، وإسلامٌ أمريكي. الثورة الإسلامية مبنيّةٌ على أساس الفهم الصحيح للإسلام، ونابعةٌ من المعارف والمصادر الأصيلة لمعرفة حقيقة الدين الإلهي. هذه القراءة الصحيحة للإسلام هي التي تنتج الثورات. الإسلام المحمّدي الأصيل هو الذي يصنع الثوّار ويحرّك الجماهير ويرفع الرايات ويرفض الاستسلام. أمّا الإسلام الآخر الذي يساوم الطاغوت ويقبل الذلّ ويعايش الكفر ويصبح أداةً بيد المستكبرين فهو ليس إسلاماً حقيقياً إلهياً أصيلاً، وإنما هو صنيعة أعداء الإسلام لرب الإسلام ولتشويه صورة الإسلام ولمنع فاعلية الإسلام، وبتعبير الإمام الخميني هو الإسلام الأمريكي.

ولكي ندرك ما هي علاقة الثورة بالإسلام علينا أن نلقي نظرةً ولو إجمالية على أهمّ المبادئ الفكرية

والأسس العقائدية في الإسلام المحمّدي الأصيل، والتي بدورها تؤثّر على أداءنا الفردي وسلوكنا الاجتماعي. طبعاً الإمام الخامنئي في كثير من محاضراته يرح لنا الأصول الثورية للإسلام، لكن ربّا من أفضل المصادر للاطلاع على آراء سماحته حول هذا الموضوع هو كتاب «مشروع الفكر الإسلامي في القرآن ». أنتم في هذه الدورة قرأتم هذا الكتاب القيّم المشتمل على سلسلة محاضرات ألقاها الإمام الخامنئي قبل سنوات من انتصار الثورة، وعرفتم أنّ سماحة السيد علي الخامنئي الشاب الثلاثيني الذي كان إمام مسجد صغير في مدينة مشهد آنذاك، كان يهدف من إلقاء تلك المحاضرات إلى تبيين الأسس الفكرية للثورة الإسلامية أوّلاً، وتربية الشباب المؤمن الثوري ثانياً.

ويشهد التاريخ ويعرف العدوّ أيضاً أنّه كان موفّقاً وناجحاً جدّاً في تحقيقه لكلا الهدفين. في الوثائق الرسمية لنظام الشاه التي تمّ العثور عليها بعد انتصار الثورة هناك تقرير للسافاك (أي جهاز الاستخبارات في نظام الطاغوت) حول محاضرات مشروع الفكر الإسلامي في القرآن.

ضابط الاستخبارات يقول في هذا التقرير: «يقوم السيد عي الخامنئي في هذه المحاضرات بتبيين المبادئ الثورية للإسلام، والهدف غير المباشر لهذه الجلسات هو إيجاد تنظيم من نوع آخر يحوّل الشباب إلى طلقات نارية لا يقف بوجهها أيّ شيء. » في هذه الجلسة سنشير إلى أهمّ هذه الأصول الثورية والمبادئ الفكرية للإسلام بناءً على رؤية سماحة القائد:

الأصل الأول في الإسلام المحمّدي الأصيل هو الاعتقاد بالتوحيد. تعلّمنا في كتاب مروع الفكر الإسلامي أنّ التوحيد لا يعني أنّ ا واحدٌ وليس اثنين فحسب، وإنّما يعني أنّ العبادة والطاعة منحصرة با، وأنّ روح التوحيد رفض عبوديّة الطواغيت.

في نفس السياق، يرح سماحة الإمام الخامنئي في «بيان العهد المشرك » مفهوم التوحيد ويقول: «الإسلام هو دين التوحيد، والتوحيد يعني تحرّر الإنسان من العبوديّة والطاعة والتسليم لأيّ شيء ولأيّ أحدٍ سوى ا، وفكّ قيود أنظمة الهيمنة البشريّة، وكسر تعويذة الخوف من القِوى الشيطانيّة والماديّة، والاتكاء على الإمكانات اللامتناهية التي استودعها ا في ذات الإنسان وطلب منه استخدامها كفريضة لا مناص منها، والثّقة بالوعد الإلهي بانتصار المُستضعفين على الظالم ن والمستكبرين شريطة القيام والكفاح والاستقامة، وتقبّل المشَقّات والمخاطر التي تهدّد الإنسان في سبيل تحقيق الوعد الإلهي، وأن يرى الصِعاب]التي تعترضه[أنّها بِعَ ن ا، وخلاصة القول يعني أن يرى نفسه مُتعلّقًا ومتّصلاً

بالمحيط الأزلي للقدرة والحكمة الإلهيتان، وأن يُسارع نحو الهدف الأسمى بأملٍ ودون تشويشٍ. في ظلّ هكذا إيمان وإدراك بينّ ٍ وعميقٍ للتوحيد تتحقّق العزّة والرفعة الذي وُعد به المسلمون، ودون فهمٍ صحيح والتزام عقائديّ وعميّ بالتوحيد فإنّ أيّ ًا من وعود ا للمسلمين لن يتحقق عمليّ ًا. » هذا هو التوحيد من منظار الإسلام الثوريّ الحركيّ.

الأصل الثاني في الإسلام المحمّدي الأصيل هو الاعتقاد بالنُبوّة. في كتاب «مشروع الفكر الإسلامي في القرآن » تعلّمنا أنّ النُبوّة مرتبطة بالتوحيد، وأنّ هدف الأنبياء صناعة الإنسان الموحّد. لكنّهم يسعون نحو هذا الهدف عبر إيجاد مجتمع توحيدي وليس عبر التربية الفردية للإنسان. لذا فإن بعثة الأنبياء في الحقيقة هي ثورةٌ اجتماعية ضدّ الطاغوت لبسط التوحيد في كلّ العالم، ل «يكونَ الدينُ كلّ ُه » و «لِيُظهرَه على الدينِ كلّ ِه .»

للمطالعة أكثر حول مفهوم النُبوّة في الإسلام الثوريّ المحمّدي الأصيل من منظار الإمام الخامنئي يمكنكم مراجعة خطابات سماحته بمناسبة عيد المبعث النبويّ الشريف خلال السنوات الماضية، كما وأنصحكم بقراءة كتاب «ثورة الأنبياء في نهج البلاغة » من إصدارات «دار الثورة الإسلامية ». في هذا الكتاب يبيّن لنا سماحة القائد أنّ الثورة الإسلامية هي تكرارٌ لتجربة النُبوّات وامتدادٌ لثورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أمّا الأصل الثالث من الأسس الفكرية في الإسلام المحمّدي الأصيل هو الاعتقاد بالولاية. وقد عرفنا في كتاب «مشروع الفكر الإسلامي في القرآن » أنّ الولاية ليست منفصلة ً عن النُبوّة، ولو لم تكن الولاية كانت ستبقى النُبوّة ناقصة. لأنّ الأنبياء - كما ذكرنا - هدفهم صناعة الإنسان، لكن أسلوبهم وطريقتهم لصناعة الإنسان عبارة عن إيجاد المجتمع الإسلامي. والمجتمع الإسلامي هو مجتمع تسود فيه حاكمية ا والقوانين الإلهية، ونظام العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحقوقية يقف الدين الإلهي وراءها كلّها. وإيجاد مجتمع بهذه المواصفات لا يمكن إلا بالولاية بالمعنى الدقيق الذي يقدّمه الإمام الخامنئي في تلك المحاضرات.

في الحقيقة، المجتمع الإسلامي هو المجتمع الولائي، والولاية على صعيد المجتمع تتحقّق عندما يكون وليّ ا بالحقّ أو ما نسمّيه بالإمام هو ملهم كلّ الطاقات والنشاطات في ذلك المجتمع، وأن يكون الإمام هو الحاكم والقطب الذي يوجّه المجتمع قانونيا ً وتنفيذيا ً. والإمام هو الحاكم والقائد الذي يعيّنه

ا سبحانه وتعالى، وهذا التعيين إمّا أن يكون تعييناً بالإسم كما في حالة أئمة أهل البيت عليهم السلام، أو تعييناً من قبل ا بواسطة بيان الخصائص والمواصفات ك ا هو الحال في الوليّ الفقيه الجامع للشرائط في زمن الغيبة.

أيضاً من المبادئ الاعتقادية المهمّة في الإسلام الثوري هو تفسيره المتمايز والمختلف لمفهوم الإيمان. بناءً على ما تعلّمناه في كتاب «مشروع الفكر الإسلامي فى القرآن » الإيمان بالمعنى الصحيح ليس مجرّد أمر قلبي، وإنّما هو ذلك الإيمان المقرون بالمسؤولية والالتزام العملي. الإيمان هو الاعتقاد القلبي النابع من المعرفة الصحيحة والباعث للحركة العمليّة والالتزام بالمسؤولية.

المطلوب منّا أن نكون مؤمنين بالتوحيد والنبوّة والولاية، وهذا يعني أن نكون ملتزمين بهذه العقيدة في سلوكنا الفردي والاجتماعي. أن تكون مؤمناً موحّداً يعني أن لا تعبد أحداً إلا ا وأن لا تطيع أحداً إلا ا والولي المنصوب من قبله، وأن تكافح كل أنواع الطواغيت في حياة الإنسان. وأن تكون مؤمناً بالنبوّة يعني أن تسعى وتبذل كلّ الجهد لتحقيق هدف الأنبياء وإيجاد المجتمع الإسلامي التوحيدي. وأن تكون مؤمناً بالولاية يعني أن تعزّز ارتباطاتك الفكرية والعملية مع الوليّ وأن تسعى وتعمل لكي تجعل وليّ ا مقتدراً في أداء مهامّه. هذا الإيمان وهذه العقيدة وهذا الالتزام العملي هو الذي يصنع الثورة.

وفي بيان الخطوة الثانية يقول سماحة القائد: «بدّلت ثورة الشعب الإيراني العالم ثنائيّ القطب يومذاك إلى عالمٍ ثُلاثيّ الأقطاب، ثم بسقوط الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له، وظهور أقطاب قوّة جديدة، أضحى التقابل الثنائيّ الجديد بين الإسلام والاستكبار الظاهرة البارزة في العالم المعاصر ومحطّ اهتمام شعوب العالم... وهكذا تغيّر مسار العالم وقضّ زلزال الثورة على الفراعنة مضاجعهم، فابتدأت العداوات الشديدة، ولولا قوة الإيمان العظيمة ودوافع هذا الشعب والقيادة الربّانيّة والمؤيّدة للإمام الخمينيّ العظيم لما أمكن المقاومة حيال كلّ هذه العداوة والظلم والمؤامرات والشرّ. »

إذاً بالمختصر، هذا هو دور الإسلام والإيمان والأسس العقائدية والمبادئ الفكرية القرآنية في إيجاد الثورة الإسلامية واستمرارها. هذا الفهم العميق والدقيق للإسلام وهذه القراءة المميّزة للإيمان تحرّك الشعوب لإيجاد التحوّل في المجتمع نحو الإصلاح ولبناء حياة طيّبة في الدنيا والآخرة، وهذا هو الفرق بين الإسلام المحمّدي الأصيل والإسلام الأمريكي الذي يفصل بين الدين والحياة الاجتماعية والسياسية.

بتعبير القائد في بيان العهد المشرك: «طبيعة الإسلام الأصيل هي طبيعة غنية بالجوانب الجذّابة، وتجتذب إليها القلوب النقيّة من الأغراض الفاسدة والأحقاد، وهذا هو نفسُه ما طرحه إمامنا وثورتنا في العالم مرة أخرى، وقدّماه للقلوب والأبصار الباحثة والمُفتقرة إليه. في مدرسة الثورة التي أسّسها إمامنا طُوي بساط الإسلام السفياني والمرواني؛ إسلام الطقوس والمناسك الفارغة، الإسلام المكرّس لخدمة المال والسلطة، إسلام هو أداةٌ في يد القِوى المُهيمنة وآفةُ أرواح الشعوب، وسطع نجم الإسلام القرآني والمحمّدي، إسلام العقيدة والجهاد، إسلام معاداة الظالم ونصرة المظلومين، ومُؤسس حكومة المستضعفين. »

ثمّ يقول سماحته: « جاءت الثورة الإسلامية بإسلام الكتاب والسُّنّة مكان إسلام الخرافة والبِدْعة، وبإسلام الجهاد والشهادة مكان إسلام التقاعس والقيد والذِلّة، وبإسلام التعبّد والتعقّل مكان إسلام الالتقاط والجهل، وبإسلام الدنيا والآخرة مكان إسلام حبّ الدنيا أو الرّهبانية، وبإسلام العلم والمعرفة مكان إسلام التحجّر والغفلة، وبإسلام الدين والسياسة مكان إسلام الانحلال الأخلاقي واللاّمُبالاة، وبإسلام القيام والعمل مكان إسلام الذُبول والكآبة، وبإسلام الفرد والمجتمع مكان إسلام المناسك وانعدام الفائدة، وبالإسلام المُنجي للمُحْرُومين مكان إسلام هو أُلْعُوبة بأيدي أصحاب السُّلطة، وباختصار؛ جاءت بالإسلام المُحمّدي الأصيل مكان الإسلام الأمريكي. »

أيضاً هناك مبادئ فكرية إسلامية مهمّة أخرى مثل الاعتقاد باستمرار الحياة بعد الموت والاعتقاد بمحوريّة الإنسان وتكريم الإنسان والاعتقاد بحركة العالم نحو حاكمية الحقّ، يشرحها الإمام الخامنئي في كتاب «العهد العالمي الجديد » وللتعرّف على هذه النقاط يمكنكم مراجعة هذا الكتاب القيّم من

إصدارات دار الثورة الإسلاميّة.

في الحلقة القادمة من سلسلة الدروس هذه سوف نواصل البحث معكم حول مفهوم الثورة الإسلامية وسنناقش مراحل الثورة الخمسة وأهداف الثورة وقيمها وشعاراتها بالاستفادة من كلمات قائد الثورة الإسلامية سماحة الإمام الخامنئي دام ظلّه إن شاء ا.

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.